

سورة يونس

٣٦ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا

يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

القراءة : قراءة عامة قُراء الأمصار " فبذلك فليفرحوا " بالياء . ورؤى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ " فليفرحوا " بالتاء والياء . فقد روى أبو داود ، وأحمد ، والبيهقي ، وغيرهم بأسانيد صحيحة بأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " فبذلك فلتفرحوا " بالتاء . فقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن أسلم المنقري ، عن عبد الله ، عن أبيه عبد الرحمن بن أبزي ، قال : قال أبي بن كعب " بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا " ، قال أبو داود : بالتاء ^(١) . وقال : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا المغيرة بن سلمة ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأجلح ، حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي ، عن أبيه ، عن أبي ؛ أن النبي ، صلى الله

(١) صحيح . أخرجه أبو داود في : ٢٥ - كتاب الحروف والقراءات ج ٤ / ١٧١٠ رقم ٣٩٨٠ .
وأحمد بن حنبل في : ج ٥ / ١٢٣ من طريق سفيان به وأحمد بن حنبل في : ج ٥ / ١٢٢ / ١٢٣ من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب مرفوعاً به

عليه وسلم ، قرأ : " بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير ما تجمعون " (٢) .
وقد أورد هذه القراءة أيضاً ابن خالويه فقال : قرأ النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
بالتاء ، وعن الكسائي في رواية زكريا بن وردان (٣) . وقال ابن جني : ومن ذلك قراءة
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وعثمان بن عفان ، وأبي بن كعب والحسن ، وأبي
رجاء ، ومحمد بن سيرين ، والأعرج ، وأبي جعفر بخلاف ، والسلمي ، وقتادة ،
والجحدري ، وهلال بن يساف ، والأعمش بخلاف ، وعباس بن الفضل ، وعمرو
ابن فائد " فبذلك فلتفرحوا " بالتاء . وقرأ " فبذلك فافرحوا " أبي بن كعب (٤) . وقد
رجح الزمخشري القراءة بالتاء فقال : وقرئ " فلتفرحوا " بالتاء وهو الأصل والقياس ،
وهي قراءة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما روى (٥) . وقال ابن الجزري :
واختلفوا في " فليفرحوا " . فروى رويس بالخطاب - يعني فلتفرحوا - وهي قراءة أبي ،
ورويها مسندة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهي لغة لبعض العرب ، وفي
الصحيح عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : " لتأخذوا مصافكم " أخبرنا شيخنا أبو

(٢) صحيح . أخرجه أبو داود في : ٢٥ - كتاب الحروف والقراءات ج ٤ / ١٧١١ رقم ٣٩٨١ ، وأحمد
ابن حنبل في : ج ٥ / ١٢٢ / ١٢٣ من حديث عبد الرحمن بن أبيزي ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب
مرفوعاً به ... " .

والسيوطي في : الدر المنثور ج ٣ / ٥٥٤ .

(٣) انظر : مختصر شواذ القرآن ص : ٦٢ .

(٤) انظر : المحتسب ج ١ / ٣١٣ ، والكشاف ج ٢ / ٣٥٣ ، وروح المعاني للألوسي ج ٦ / ٣٧٨ ،
وإعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٦٤٧ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١١ / ١٦٤ رقم
١٣٧٠٩ .

(٥) انظر : الكشاف ج ٢ / ٣٥٣ ، والدر المصون ج ٤ / ٤٥ .

حفص عمر بن الحسين بن مزيد قراءة عليه ، أنا أبو علي بن أحمد بن عبد الواحد ، أنا عمر بن محمد البغدادي ، أنا أبو الويد إبراهيم بن محمد الكرخي ، أنا أبو بكر الخطيب ، أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي ، أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ، أنا أبو داود الحافظ ، ثنا محمد بن عبد الله ، ثنا المغيرة بن سلمة ، ثنا ابن المبارك ، عن الأجلح ، حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبيزي ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب ، رضي الله عنه ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون " . يعنى الخطاب فيهما ، حديث حسن ، أخرجه أبو داود كذلك في كتابه ، وقرأ الباقر بالغيب^(٦) . واختلفوا في " مما يجمعون " فقرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، ورويس بالخطاب ، وقرأ الباقر بالغيب^(٧) . وقال أبو حيان : والجمهور بالياء على أمر الغائب^(٨) . وقال ابن عطية : وقرأ السبعة ، وأهل المدينة ، والأعرج ، ومجاهد ، وابن أبي إسحاق ، وقتادة ، والأعمش ، وطلحة ، بالياء فيهما على ذكر الغائب ، وقرأ أبي بن كعب ، وابن القعقاع ، والحسن على ما زعم هارون ، ورويت عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، " فلتفرحوا " و " تجمعون " بالتاء

(٦) أخرجه أبو داود في : ٢٥ - كتاب الحروف والقراءات ج ٤ / ١٧١١ رقم ٣٩٨١ .

وأحمد بن حنبل في : مسنده ج ٥ / ١٢٢ / ١٢٣ .

وابن الجزري في : النشر في القراءات العشر ج ٢ / ٢٨٥ .

(٧) انظر : النشر في القراءات العشر ج ٢ / ٢٨٥ ، والسبعة لابن مجاهد ص : ٣٢٧ / ٣٢٨ ، والتيسير في

القراءات السبع ص : ١٠ ، والإقناع في القراءات السبع ص : ٤٠٨ ، والكنز في القراءات العشر ص

: ١٧١ ، وروح المعاني للألوسي : ج ٧ / ٣٧٨ . والدر المنصور ج ٤ / ٤٥ .

(٨) انظر : تفسير البحر المحيط ج ٥ / ١٧٢ ، والدر المنصور ج ٤ / ٤٥ .

فيهما على المخاطبة ، وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة وعن أكثرهم خلاف^(٩) . قلت : لقد وردت القراءتان بالياء ، والتاء ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لكن القراءة بالتاء لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة على الرغم من صحة سندها ولكنها غير متواترة ولها وجه في العربية ، ولكنها شاذة لمخالفتها رسم المصحف الإمام ، فقد قرأ قراء الأمصار بالياء وهي في المصحف الإمام بالياء . وقد رجح الزمخشري ، والألوسي ، القراءة بالتاء على الرغم من مخالفتها لرسم المصحف الإمام^(١٠) . وقد رجح مكي قراءة الياء فقال : ففي " ففرحوا " ضمير المؤمنين ، وفي " يجمعون " ضمير الكفار ، وهو الاختيار ، لأن الجماعة عليه ، ولصحة معناه^(١١) . وقال أبو البقاء في قوله تعالى " فليفرحوا " بالياء والتاء مع سكون اللام ، والياء أجود لأن أمر المواجه فافرحوا ، وقد قرأ به ابن مسعود . ويقرأ كذلك إلا أنه بكسر اللام على الأصل ، إذ الأصل في لام الأمر الكسر^(١٢) . وقد رجح ابن جرير القراءة بالياء فقال : والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار من قراءة الحرفين بالياء " فليفرحوا هو خير مما يجمعون " لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القراء عليه ، والثاني : صحته في العربية ، وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وإنما تأمره فتقول :

(٩) انظر : المحرر الوجيز ج ٣ / ١٢٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ١١٦ ، والدر المصون ج ٤ /

٤٦/٤٥ .

(١٠) انظر : تفسير الكشاف ج ٢ / ٣٥٣ ، وروح المعاني للألوسي ج ٧ / ٣٧٨ .

(١١) انظر : الكشف ج ١ / ٥٢٠ .

(١٢) انظر : إعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٦٤٧ / ٦٤٨ .

افعل ولا تفعل^(١٣). وقد كره الأخفش الأوسط القراءة بالثناء وقال : وقال بعضهم "فلتفرحوا" وهي لغة للعرب رديئة ، لأن هذه اللام إنما تدخل في الموضع الذي لا يقدر فيه على أفعل ، يقولون : لَيْقُلْ زَيْدٌ ، لأنك لا تقدر على "أفعل" ولا تدخل اللام إذا كلمت الرجل فقلت : "قُلْ" ولم تحتج إلى اللام^(١٤).

التوجيه والتفسير : حجة من قرأ بالثناء في "فليفرحوا" و"مما يجمعون" على الخطاب ، لأن بعده خطاباً في قوله : "قُلْ أَرَأَيْتُمْ" ، وقوله : "فجعلتم منه" ، وقوله : "أذن لكن" فحمل صدر الكلام على آخره ، ليتفق اللفظ ، فيكون الضمير في "تجمعون" وفي "فلتفرحوا" للكفار على معنى : ولو كنتم مؤمنين لوجب أن تفرحوا بذلك ، فهو خير مما تجمعون من دنياكم أيها الكفار. وقد روى عن ابن عامر وغيره أنه قرأ "فلتفرحوا" بالثناء على الخطاب للكفار ، أي : لو كنتم مؤمنين لكان فرحكم بالإسلام والإيمان خيراً مما تجمعون من دنياكم^(١٥) ، وقد رجح الزمخشري والألوسي القراءة بالثناء فقال الألوسي : "وفي تعليقات الزمخشري على كشافه ، كأنه صلى الله عليه وسلم ، إنما أثر القراءة بالأصل ، لأنه أدل على الأمر بالفرح ، وأشدّ تصريحاً به إيذاناً بأنه الفرح بفضل الله تعالى ، وبرحمته ، بليغ التوصية به ليطابق التقرير والتكرير وتضمن معنى الشرط لذلك ونظيره مما انقلب فيه ما ليس بفصيح فصيحاً قوله سبحانه : "ولم يكن له كفواً أحد" من تقديم الظرف اللغوي ليكون الغرض اختصاص التوحيد ، ونقل عن شرح اللب في توجيهه ، أنه لما كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مبعوثاً إلى الحاضر والغائب جمع بين اللام والثناء ، قيل : كأنه

(١٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١١ / ١٦٤ .

(١٤) انظر : معاني القرآن للأخفش الأوسط ج ٢ / ٣٤٥ ، والدر المنصور ج ٦ / ٢٢٥ .

(١٥) انظر : الكشف ج ١ / ٥٢٠ ، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ / ١١٦ ، والدر المنصور ج ٤ / ٤٥ .

عنى أن الأمر لما كان بجملة المؤمنين حاضريهم وغائبهم ، غلب الحاضرون على الغائبين ، وأتى باللام رعاية لأمر الغائبين ، وهي نكتة بديعة إلا أنه أمر محتمل ، وما نقل عن صاحب الكشاف أولى بالقبول ^(١٦) وقد كره الأخفش الأوسط ، وأبو البقاء ، ومكي ، القراءة بالتاء ، فقال الأخفش كما ذكرت سابقاً ، وهي لغة للعرب رديئة . وقال أبو البقاء : والقراءة بالياء أجود ، وقال مكي : والاختيار الياء . وقال مكي : ولم أقرأ " فليفرحوا " إلا بالياء للجميع ، ويجوز أن يكون الضمير في قوله " فليفرحوا " للمؤمنين ، وقرأ الباقر بالياء في " يجمعون " أجروه على الإخبار عن الكفار ، لا عن المؤمنين ، لأن المؤمنين هم الذين أعطوا فضل الله ، وهو الإسلام ، وأعطوا رجبته ، وهو القرآن لم يعط ذلك الكفار ، فقل : إنما أعطي المؤمنون من الإسلام والقرآن خير مما يجمع هؤلاء الكفار من دنياهم ، ففي " يفرحوا " ضمير المؤمنين ، وفي " يجمعون " ضمير الكفار ، وهو الاختيار لأن الجماعة عليه ، ولصحة معناه ^(١٧) ، وقال أبو علي الفارسي : ومن قرأ بالياء كان المعنى : فافرحوا أيها المؤمنون ، أي : افرحوا بفضل الله ورحمته ، فإن ما آتاكموه من الموعظة ، وشفاء ما في الصدور ، وثلج اليقين بالإيمان ويكون النفس إليه ، خير مما يجمعه غيركم من أعراض الدنيا ، ممن فقد هذه الخلال التي حزقوها ^(١٨) .

(١٦) انظر : تفسير الكشاف ج ٢ / ٣٥٣ ، وروح المعاني للألوسي ج ٧ / ٣٧٨ .

(١٧) انظر : الكشف ج ١ / ٥٢٠ .

(١٨) انظر : الحجة في علل القراءات السبع ج ٤ / ٢٨٣ .